تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النّص

مقاربة تداوليّة سيميائيّة

Dicourse Analysis in the light of text linguistics

أ. زبيدة كشرود*

تاريخ الاستلام: 07-05-2019 تاريخ القبــول: 29-09-2019

ملخّص: إنّ الخطاب عموما متعدّد الأنواع ويتطلّب أن يكون التّحليل فيه الى مستويات تحتسب هذا التّنوع والثّراء، ويضطلع بآليات انسجامه واتّساقه وبيان ومنطلقاته وأهدافه.

نسعى من خلال هذا البحث الاقتراب أكثر من خصوصيّات الخطاب، والنّظر في آليات اشتغاله، منطلقين من محاولة تتكئ على عدّة مكينة من النّظريّات التّداوليّة والسّيميائيّة، وتنهض على آليات جديدة في القراءة

كلمات مفتاحيّة: تحليل الخطاب؛ المرسل؛ المتلقّي؛ التّداوليّة؛ السّيميائيّة؛ النّص.

Abstract:

The discourse has several types and requires analysis to be at levels that take into consideration this diversity and

*ج. الجزائر 2، الجزائر، البريد الإلكتروني: zkechroud@gmail.com

المنارة للاستشارات

richness, and relies on mechanisms of consistency, cohesion, clear premises and objectives.

In this research, we seek to approach the specifties of the discourse and to examine the mechanisms of its operation, starting from an attempt to lean on semiotics and pragmatic theories, and to promote new reading mechanisms.

Keywords: discourse analysis; utterer; receiver; pragmatic; semiotic; text.

1. **مقدّمة:** في هذا البحث المتعلّق برهانات تحليل الخطاب، فإنّ الموضوع الذي تقترح الدّراسة معالجته يهدف إلى طرح إشكاليّة آليات تحليل الخطاب وما يتعلّق بها في الآن ذاته من استراتيجيات.

يكون الخطاب عموما إقناعيا توجيا، يقوم على أساس الفعل المعرفي الذي تتفرّع منه أفعال أخرى هي أفعال التّواصل، التّواصل اللغوي بتوظيف اللسان البشري الذي ميز الله به البشر عن غيرهم من حيث القدرة على انتاج واستعمال نظام من الوحدات المحدودة جدا (لا تتجاوز 28 وحدة صوتيّة في اللسان العربي) من أجل تبليغ ما لا نهايّة له من الرّسائل .

بدءا يمكن القول أنّ كلّ إجراء سِموي(علامي) *sémique* ظاهر بصفته مجموعة من الأشكال التّواصليّة اللسانيّة ويقتضي متكلّما وسامعا، وإنّ دلالة قول ما تتوقّف على الكيفيّة التي بها يقدّم المتكلّم كلامه؛ وإنّ هذه العمليّة هي محل إنشاء الخطاب.

المنارة للاستشارات

وتلتقي ها هنا بالذّات الأعمال والاجتهادات المتجدّدة والمتطوّرة للمنظرين اللسانيين والتّداوليين والسّيميائيين الذين يتواصل اجتهادهم جميعا ويتجدّد لاكتشاف أهمّيّة عمليّة الكلام في إنتاج "القول أو النّص" وإدراكه. ولا يتجسّد النّص إلاّ أثناء العمليات القوليّة، وكذلك "فإنّ العناصر الخطابيّة تتحقّق خلال العمليات الكلاميّة وتتجذّر بالنّسبة لمقام وسياق النّص.

لأسباب منهجيّة فإنّه من الوجاهة بمكان الاصطلاح على أدوات وآليات إجرائيّة موحّدة أثناء عمليّة التّحليل، ولتكن آليات منهج التّداولي السّيميائي.

بالنّظر الى تعدّد التّوجّهات العلميّة في معالجة أنواع الخطاب وتجدّدها المستمر فإنّه ينبغي اختيار النّظريّة الأكثر شموليّة لمعالجة الخطاب بحسب أنواعه وأشكاله. لذلك فإنّ هذا البحث يسعى الى تقديم عدّة إجرائيّة تساعد على قراءة وجيهة للنّصوص.

سعى محللو الخطاب وعلماء النّص الى تجاوز لسانيات الجملة ممّا أحدث قفزة نوعيّة بشهادة المحدثين على اختلافهم، إذ الخطاب من زاويّة لسانيّة محضة "نص محكوم بوحدة كليّة واضحة، بحيث يتألّف من صيغ وجمل متراصة منسجمة ومتواليّة تصدر عن المخاطِب الذي يود تبليغ الخطاب وتوصيله الى المخاطَب" (زيوان, 2008). ص97

واذا كان الخطاب متتاليّة من الجمل وهذا التّعريف الرّائد لز.هاريس فمن الأهمّيّة بمكان التّقاء هذه الجمل التّقاء قصديا على امتداد الخطاب، وإذا فالعلاقات القائمة بين هذه الجمل هي التي تشكّل في النّهايّة بنيّة الخطاب (يقطين, 1993). ص18

وإذا فالخطاب وحدة لسانيّة اشمل من الجملة، إذ هو نظام من الملفوظات يتحدّد مفهومه في اللسان بناء على التّلفظ أو على العلاقة بين المخاطِب والمخاطَب، وإذا كان الخطاب ما يتلفظ به فقد يكون اذن جملة أو فقرة أو آلافا من الجمل.(يقطين, 1993) ص98.

المنارة للاستشارات

ولا شكّ أنّ تجاوز الجملة عمل مهم، ولكن اقتصار البحث اللساني على الملفوظ وحده جعله يغفل العلاقة بين اللسان ومستعمليه في المجتمع، لأنّها تتجاوز دائرة الاهتمام اللساني، ولهذا نجد هاريس غير منشغل بها. (يقطين 1993) ص17.

2. **التّلفظ هو التّداوليّة:** إنّ التّلفظ من منظور سيمائي محض هو التّداوليّة (البراغماتيّة) بالمعنى الأنجلوساكسوني، ومهما كانت زاويّة المقاربة المختارة فإنّ الأمر يفترض في المرحلة الأولى أن تبيّن الاستراتيجيات المستثمرة في إنتاج الموضوعات السّيميائيّة وتأويلها.

إنّ لسانيات الخطاب التّقليديّة على غرار "لسانيات الجملة" قد أكّدت على السّمات الإشاريّة التي يمكن أن توجد في الملفوظ، مثل:

أ. الضّمائر: كأن تكون عوامل: "أنا"، "أنت"، "هو."

ب. أو علامات إشارة تدلّ على الفضاء مثل: "هنا"، "هناك"، "هنالك"، "أبعد من ذلك."

ج. ظروف زمنيّة: "الآن"، "حين"، "إذ"، "غدا"، "لما"، "بعد غد"...إلخ، حيث إنّ الأساس فيها هو الإحالة إلى سياق و/أو مقام التّلفظ.

وبالنّسبة للعلوم الإنسانيّة والأدبيّة منها بوجه خاص فقد استطاعت أن تذهب إلى عمق الأشياء، حيث يعتبر أنّ قصّة ما تعرض في تظاهرتها النّصيّة وجهين متكاملين؛ "الحكايّة" المحكيّة في "النّص"، ويمكن أن تعرف بأنّها "الملفوظ" هذا من جهة، ومن جهة أخرى: الكيفيّة التي تعرض وفقها هذه الحكايّة ويمكن أن يشار إليها بـ"التّلفظ الملفوظ".

ويستحسن الإشارة هنا إلى تعليم إميل بنفنيست الذي كان قد ميّز بين "القصّة والخطاب"(Benveniste, 1966) ص242

المنارة للاستشارات

ومن منظور أدبي قريب من المنظور السّابق، يوسّع جرار جنيت الإشكاليّة فهو يقارن بين ضربين مختلفين من الخطاب: /"القصّة" .Vs "الخطاب"/ ولكنّه يقارن بالأحرى بين أشكال تنظيم داخل الخطاب، فهو يميّز بين مستويين مختلفين يمكن أن يظهرا في خطاب ما هما:

أ. مستوى "القصّة" باعتبارها مقصوصا.

ب. مستوى الخطاب: الذي يوافق كيفيّة قص ذلك المقصوص.

ولاعتبار هذه الفرضيّة التي تتوقّع من الدّارس ألا يتخلّى عن النّص لصالح أصول أخرى من قبيل: ظروف حياة المؤلّف/ ومشاكله النّفسيّة والاجتماعيّة والمناخ الثّقافي السّائد لذلك العصر...إلخ) فإنّه ينبغي ألاّ يعالج إلاّ "الملفوظ" بصفته موضوع التّحليل الوحيد الذي يمكن أن يميّز فيه بين المقصوص أو على وجه التّحديد، الملفوظ الملفوظ وبين كيفيّة عرض هذا المقصوص ويتعلّق الأمر حينئذ بـ"التّلفظ الملفوظ".

وإنّه اعتمادا على التّمييز الذي وضعه سابقا إيميل بنفنيست بين القصّة والخطاب، والقائم على معطيات لسانيّة محضة (علیقة بالنّص)، حاولت السّيميائيّة أن ترتقي نحو الهيئة التّلفظيّة، ولكن كان ذلك على حساب هيئة الملفوظ له أو المتلقّي، وقد وضع في موضع سلبي، وفقا لمنظور صار تقليديا أو كلاسيكيا وهو منظور "نظريّة التّواصل" حيث إنّ البّاث (وهو العامل المنفذ *l'agent*) يتجاوز المتلقّي الذي هو المعمول *le patient* في إطار نقل الخطابات. وهي نظريّة لا أحد يجهل أنّها كانت ذات صيت في ميدان اللسانيات العامّة.

وإذن فإنّ الإشكاليّة قد بقيت علیقة إلى حدّ ما بالمقاربة الأدبيّة المعهودة، فهي مثلا إزاء نص ما، تؤكّد على أصله (بالإحالة إلى التّاريخ، إلى حياء المؤلّف وإلى ظروف حياته، إلى علاقته الاجتماعيّة، وإلى مشاعره، وإلى ردود

المنارة للاستشارات

فعله وتصرّفاته...إلخ) وحول الظّروف الاجتماعيّة–التّاريخيّة والثّقافيّة لإنتاجه وكتابته، وقلّما تشير إلى القارئ وإلى أساسيّات أو ثوابت تلقيه سيميائيّة الأهواء.

ويتأتّى الفرق حقيقة من كون أنّ السّيميائيّة تعتمد النّص وحده، ولا تحيد أبدا عنه، فهي لا تتعدّى حدود الموضوع السّيميائي المتبقّي (الذي كانت تبحث فيه عن آثار التّلفظ)، في حين أنّ التّحليل الأدبي كان يدرج أيضا، معطيات خارج –نصّيّة ذات طبيعة تاريخيّة، اقتصاديّة، اجتماعيّة، ثقافيّة...إلخ.

1.2 **التّداوليّة الانجلوسكسونيّة:** في المقابل للمقاربة الأوروبيّة، فإنّ التّداوليّة على الضّفة الأخرى للأطلسي والتي تقع على منظور لساني وآخر فلسفي، كانت ترتكز على "التّأثيرات" "تأثيرات الملفوظ" وهي ما يسمّى بالعمل اللاقولي، أو العمل المجاوز للقول وهو يرتبط بردّ فعل المخاطب، وقد سمّاه أوستين **(Austin, Urmson, & Sbisà, 1975)** بالعمل المجاوز للقول، أو الخارج عن الملفوظ *Acte perlocutoire* ويقابله في العربيّة مصطلح التّأثير بالملفوظ "الذي يقوم به اللافظ بهدف التّأثير على الملفوظ له.

وبالتّخلّي قليلا عن كيفيات الفعل، والاستراتيجيات الخاصّة باللافظ، وبالتّركيز على استراتيجيات المخاطب أو المتلقّي، فإنّ سارل **(Searle)** مثّل كلّ الذين تبنّوا وجهة نظره فإنّه كان يؤكّد أكثر على صنيع أو نتائج أعمال الكلام على المخاطَب، وفي هذا المنظور، فإنّ التّداوليّة، أو البراغماتيّة كانت تتشبّث أو تتعلّق خاصّة بتأثير "الملفوظ" المعروض على السّامع أو المتلقّي، أو الأولى الملفوظ له، أنّها كانت تبين العلاقات التي تربط "الكلام بالعمل" وبنجاعته المحسوسة، أكثر ممّا كانت تهتمّ بالاستراتيجيات التي ("يستعملها") اللافظ.

وينبغي الإشارة هاهنا إلى الأهمّيّة التي أوّلتها التّداوليّة إلى أفعال الإنجاز *Les performatifs*، فمثلا عندما يقول القاضي "فتحت الجلسة"، أو "أفتتح

المنارة للاستشارات

الجلسة" أو "رفعت الجلسة" فإنّه بهذا تفتح الجلسة أو ترفع فعلا في الواقع وكذلك ملفوظ ما، في مقام مخصوص "بعت" و"اشتريت" فإنّ اللافظ يصير "بائعا" و"مشتريا" والذي يستفاد من هذه الأمثلة أنّ بعض الأعمال التي نقوم بها ليس لها وجود إلاّ داخل المؤسّسة اللغويّة، فليست اللغة مجرّد وسيلة لنقل الأفكار، ولوصف الأشياء، وإنّما هي ميدان تنجز فيه أعمال لا تنجز إلاّ في اللغة، وباللغة فهذه الأعمال إضافة إلى كونها أقوالا يسيرها العرف اللغوي، هي أعمال يسيرها عرف لغوي اجتماعي أعم فلولا العرف لما كان القاضي أو الرّئيس ليفتتح الجلسة، أو يرفعها، وهذا يتوقّف على شروط معيّنة للاستعمال أهمّها التّواضع، على أن يكون الشّخص من الذين يفتتحون الجلسات ومن الذين لهم أن يصدروا أمرا.

ويجدر بالذّكر ها هنا إلى شموليّة هذين المنظورين الكبيرين اللذين هما متكاملان، ففي مرحلة أولى يعتبر "التّلفظ" بمثابة الرّابط أو العلاقة بين فاعل التّلفظ وبين موضوعه الملفوظ *l'énoncé* المحدّد في أغلب الأحيان بعلاقة شدّ أو توتّر "إنّ مصطلح التّلفظ المستعمل في أغلب الأحيان كمرادف للافظ يغطي في حقيقة الأمر العاملين: اللافظ والملفوظ له، وفعلا فإنّه من الواضح أنّ علاقة الفاعل بالموضوع هي العلاقة الأولى في التّلفظ **(Quémada, Rastier, Greimas, & Courtés, 2014)**" ص125

حيث إنّه لم يحدث إلاّ في مرحلة تاليّة وبغرض ملائمة التّحليل، إدراج نمط من: ضرب التّبليغ (التّواصل) ينقل وفقه موضوع معرفي من قطب "اللافظ" إلى قطب آخر هو الملفوظ له. وفي هذا المنظور فقد وضعت صيغة شموليّة تمفصل فاعل إلى عاملين اثنين هما: عاملا التّلفظ: اللافظ والملفوظ له بالإضافة إلى إمكانيّة توظيف هذا العامل أو ذاك في عمليّة التّلفظ، أي يمكن لهما أن يتبادلا الأدوار، فيصير اللافظ ملف وظا له، والعكس صحيح.

المنارة للاستشارات

ولهذا فإنّ كلاً من اللافظ والملفوظ له ليس لأحدهما من معنى إلاّ بالنّسبة للآخر، وتربطهما علاقة تضمن متبادلة، ولا يمكن أن يكون لأحدهما الأولويّة على الآخر.

وتوسّع السّيميائيّة مجال التّلفظ، فتدرج فيه نتائج اجتهادات وأعمال التّداوليّة المميّزة في الميدان فلم يعدّ الكلام في السّيميائيّة على "عمل الكلام" ولكن توسّع المجال وتبيّن وتحدّد في "أعمال اللغة *Les actes de langage* "والتي كان مؤسّسها، والذي تطوّرت على يده وهو سارل**(Searle)** ، ولكن تعالج تلك "الأعمال" دائما ضمن المنظور اللساني المحض ولا تحيد عنه، مهما كان الموضوع السّيميائي المعالج حيث أنّه:

"من بين المؤسّسات الاجتماعيّة التي تعني اللغة، نميّز المؤسّسة اللسانيّة "الصّرفة"، التي تثبت معنى الملفوظات، [كذلك] الامتدادات اللسانيّة لمختلف المؤسّسات (الدّينيّة أو التّشريعيّة)، التي هي في حدّ ذاتها غريبة جدّ عن اللغة ولكن بحدث، ولعوزها العليق بها، أن نفرض على بعض التّلفظات قيمة خاصّة **(Searle, 1972)**".ص13

ويضيف: "ويمكن حينئذ، ومع ديسوسور المحافظة على كون أنّ التّواضعات الاجتماعيّة لا تهمّ التّلفظ: يكفي أن نحدّد بأنّنا نتكلّم فقط على التّواضعات التي تنتمي للمؤسّسة اللسانيّة الصّرفة، دون أن تؤخذ في الحسبان التّواضعات **(Courtés, 1995)**ص 150 التي يمكن للمؤسّسات الخارج-لسانيّة أن تضيفها بالمناسبة للسان."

كما إنّه من البيّن أنّ معنى جملة ما، أو خطاب بأكمله لا يمكن أن "يثبت" إلاّ في سياق تلفظ محدّدا ولا تمكن لأيّ تحليل مسبق أن يكون بمثابة المرشد دون منازع، كما لا يمكن أبدا لهذا التّحليل أن يقرّر ويفصل في أمر الدّلالة النّهائيّة للنّص.

المنارة للاستشارات

ولكي يلج "الموضوع السّيميائي" إلى عالم الدّلالة فإنّه ينبغي أن يتمفصل إلى شكلين إثنين "شكل المضمون" وشكل التّعبير، وهو يتعلّق بالدّوال، في حين يتعلّق شكل المضمون بالمدلولات، كما يلي:

الشّكل 1: الهيئة التّلفظيّة

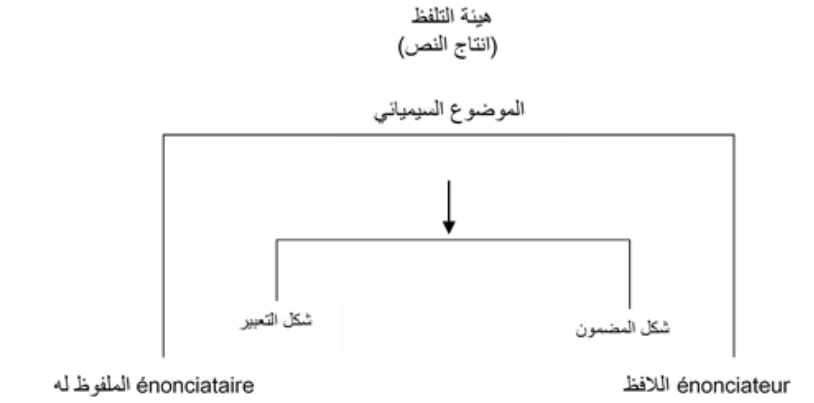

ويتبيّن من هذا الشّكل أن التّلفظ بصفته ينتج موضوعا سيميائيا، يكون في وضع "التّحيين" بادئ ذي بدء، وحالما يوضع هذا الموضوع السّيميائي في وضع دائر بين اللافظ والملفوظ له فإنّ الامر يتعلّق آنئذ "بالدّلالة" التي هي على الدّوام غير مستقرّة نسبيا، "والتي يتّفق عليها بالتّقريب كلّ من اللافظ والملفوظ له إن تمّ ذلك بينهما"(Courtés, 1995) ص150.

والذي يقصد من هذا إنّ "التّحيين" يعود إلى التّظاهرة المحسوسة الفعليّة في حين أنّ "الإضمار" هو دائما ليس إلاّ من قبيل الممكن، وإنّه غير قابل للتّأويل إذا ما اعتبرناه منعزلا عن كيفيّة التّلفظ. إنّه، ولا ريب، نموذج وجود سيميائي قابل للتّعرف عليه كما هو في الخطاب إلاّ أنّه يبقى مفتوحا لقراءات مختلفة، أو قد تُكون مُفترقات متعارضة حتى، بحسب السّياق الذي يوجد فيه هذا المضمر.

المنارة للاستشارات

وفضلا عن ذلك فإنّ التّمفصل يربط هذين الفاعلين الذين هما اللافظ، والملفوظ له بواسطة الموضوع السّيميائي الموظف، وإنّ هذا التّمفصل يرتبط طرفاه بعلاقة ارتجاعيّة في الاتّجاهين المعاكسين.

ومنذ البدايّة فإنّ إشكالا أساسيا يطرح نفسه، وهو معرفة الصّورة التي يكوّنها اللافظ عن الملفوظ له، حتى قبل أن يعرفه، والعكس صحيح كيف يستطيع أو كيف يتمكّن الملفوظ له من أن يتنبأ ضمنيا على الأقل، وبواسطة الموضوع السّيميائي الذي وضع تحت تصرّفه، بالاستراتيجيات المتبناة بإزائه، من قبل اللافظ، وهذه النّقطة بالذّات هي الأساسيّة، والمتعلّقة "بالإنتاج"، و"القراءة" وبـ"التّأويل".

في حين إنّ تفكيك "الموضوع السّيميائي" إلى شكلين: "شكل المضمون" ويحتوي بدوره على جانب تركيبي و"جانب دلالي" و"شكل التّعبير" ويحتوي على الدّوال فإنّ هذا التّفكيك يقع على العكس من ذلك على مستوى "احتمالي" مضمر صرف، وصارم متضمّن في التّلفظ المحض، وإذن فإنّ الأمر يعود للتّلفظ في توجيه القصّة في هذا الاتّجاه أو ذلك، وأن تموقع على طراز خاص استراتيجياتها الخاصّة بها.

2.2. **استراتيجيات الخطاب:** إنّ الخطاب هو في ذات الوقت إجراء ونظام، إنّه يكون كلا قابلا للبناء حيث يمكن أن يتلقى تحليلا في السّطح وآخر في العمق تبعا للمسار التّوليدي، وإنّ التّلفظ بصفته إجراء ونظاما يقبل التّحليل وفق المحورين: التّركيبي والاستبدالي؛ وإنّ العناصر الأكثر وجاهة *Pertinente* في هذا القسم أو ذاك تكون مجال تحليل خطابي من حيث يعقد فيه أو يسند إليه كلّ من النّمط العاملي: العقد والجهات الاستراتيجيات الخطابيّة.

المنارة للاستشارات

1.2.2. **المخاطِب المرسِل:** إنّ أحد عناصر إجراء الخطاب بصفته هيئة تشرف على النّص الملفوظ الذي يشمل عاملين *Actants* المخاطِب والمخاطَب وهو الموجه إليه النّص، ينتج الأوّل الملفوظ ويوجه للثّاني، إنّ استراتيجيات إنتاج "الموضوع السّيميائي" هي إلى جانب اللافظ (المرسل، الباث، المتكلّم، الكاتب، المخاطب،...) في حين أنّ الأمر الذي هو غير مستقر وهو التّعرف على المعنى فإنّه إنتاج المتلقّي الملفوظ له (المرسل اليه، أو القارئ، أو السّامع، وهو الذي لا يدري على أي "قدم يستريح" في فهم الخطاب الموجّه إليه أي في فهم الموضوع السّيميائي "المعروض عليه وإذن فإنّ السّؤال الذي ما يزال مطروحا هو حول: موقع ووظيفة هذا "الموضوع السّيميائي" الذي يربط بين اللافظ والملفوظ له، ومنه المخطّط الثّلاثي لهذا التّشعب.

2.2.2.المتلقي: يخصّص كلّ من عاملي التّلفظ: اللافظ والملفوظ له الأساسيين، بعلاقة تضمّن فكلّ واحد منهما يقتضي أو يتضمّن وجود الآخر.

ينبغي أن يمتلك الملفوظ له كفاءة دلاليّة على مستوى التّلقّي، كفاءة موجهة (تركيبيّة) وتحدّد بمجموع "الجهات المضمرة "، والمحينة و"الجهات المّمكنة "أو المحدّدة الفاصلة والجهات المحقّقة مثل "الإرادة" أو "الوجوب" ولكن ينبغي أيضا أن يمتلك "العلم" و"القدرة" على الفهم أو الاهتمام أي القدرة على الاهتمام بما هو معروض عليه وفهمه كذلك ينبغي عليه أن يتمكّن من القدرة على إدراك البعد المعرفي، الذي يقتضيه "الفهم."

وهكذا فإنّه فيما يتعلّق بالكفاءة الدّلاليّة، فإنّ نوعا من "المستوى الثّقافي" أو "المعرفي الموسوعي" يمكن أن يكون أو لا يكون جزئيا مشتركا بين طرفي التّلفظ، وهو الأمر الذي سيؤدّي بشكل محسوس إلى يسر التّواصل أو إلى عسره، أو استحالتّه، وتصير "الرّسالة" التّواصليّة عندئذ لدى تخوم السّيميائيّة.

المنارة للاستشارات

3.2.2.الموضوع السّيميائي: إنّ معالجة الموضوع السّيميائي في علاقته بالمرسِل والمتلقّي يمكن أن تتمّ ضمن الإطار العام لـ"الاستراتجيات السّيميائيّة" (GRANGE, 1978) ص255 التي تضع السّلوك بين المرسِل والمتلقّي في تفاعل سيميائي وفق عملتي التّحريك والتّقويم إذ هما عمليّتان تنظّمان العلاقات في كلّ الميادين الممكنة(السّريّة، العقائديّة، الاجتماعيّة، الثّقافيّة، الاقتصاديّة، السّياسيّة الإشهاريّة...)، وضمن الأشكال الممكنة انطلاقا من العلاقات والمحادثات الشّفهيّة بين اثنين على الأقل، ومثاله فعل التّحريك السّيميائي بين أفراد أسرة ما، فهو يوظف عددا من التّفاعلات اللغويّة، الإشاريّة، الفضائيّة، الزّمانيّة إلخ. كما يوظّف عددا من العلاقات التي توظف الخطابات المكتوبة مثل الرّسائل والجرائد أو تستعملها معا: أي تستعملها معا: أي تستعمل البصري، والسّمعي وهذا صالح لكلّ الأنواع السّيميائيّة، ولا توظّف هذه الأشكال السّيميائيّة فقط لأجل التّبليغ، ونقل العلم والمعرفة، بل هي تتجاوز "فعل التّبليغ" للنّظام السّيميائي، إلى الحمل "الاعتقاد" (أو الإيمان) بالموضوع المعيّن المستعمل وبعبارة أخرى: إنّ الأنظمة والوسائل السّيميائيّة لا تقتصر على "الفعل المعرفي التّبليغي" بل تتجاوزه إلى "الفعل العملي التّداولي" (البراغماتي)، تتجاوزه إلى إحداث ردّ فعل لدى المخاطب (المتلقي) حتى يقوم بـ"فعل الاعتقاد" (أو "الإيمان"، حول موضوع علم معيّن وتوظّف هذه الوسائل السّيميائيّة، أنظمة عامليّة وموجهة، هي دائما في غايّة التّعقيد، تتضافر لإثبات مطلب الهويّة /الكيان./

3.عمليّة الاقناع *l'acte persuasif*: وهي ذات أهمّيّة قصوى في ميدان المشافهة أو الإشارة الصّوتيّة المسموعة، أو في ميدان الإشارة الخطّيّة (المسجلة)، كما أنّها ذات أهمّيّة في ضروب سيميائيّة أخرى، إنّ هذا التّحريك المعرفي –الذي تقصى منه السّيميائيّة

المنارة للاستشارات

– كلّ الإيحاءات التي تستند على سمات التّلفظ وحده؛

– يمكن أن يشمل على الأقل شكلين: أحدهما "إيجابي" من قبيل "فعل الفعل" والآخر سلبي وهو "فعل عدم الفعل"، وبالنّسبة لموضوعنا فإنّه لا يحتفظ فيه إلاّ بـ"التّحريك التّلفظي" الذي يسعى فيه المرسِل إلى إشراك المتلقّي في الرّؤيا وإقناعه بالانخراط في مشروعه ويتعلّق الأمر حينئذ بالحمل على /الاعتقاد/ و /الإيمان./

والذي يتوقّع حينئذ من المتلقّي هو ردود الفعل الممكنة إمّا أن يعتقد ويؤمن باقتراحات المرسِل، وينعت حينئذ "المشارك" و"المؤيد"، وإمّا أن يرفض جذريا هذه الاقتراحات، ويمكن أن ينظر إليه حينئذ على أنّه "معارض"، وهي الطّريقة التي تستقبل بها الأفكار والفنون الجديدة في كلّ عصر، ويمكن الانتقال من قطب إلى قطب الى أن يصير "غير مرسِل" قبل أن يلتحق بقطب المعارض وبالتّلازم فإنّ "المعارض" لا يمكن أن يلتحق بقطب "المشارك" المؤيّد إلاّ بمرور بالوضع الأوسط وهو موقف المتعاطف.

الشّكل2: ردود فعل المتلقّي الممكنة

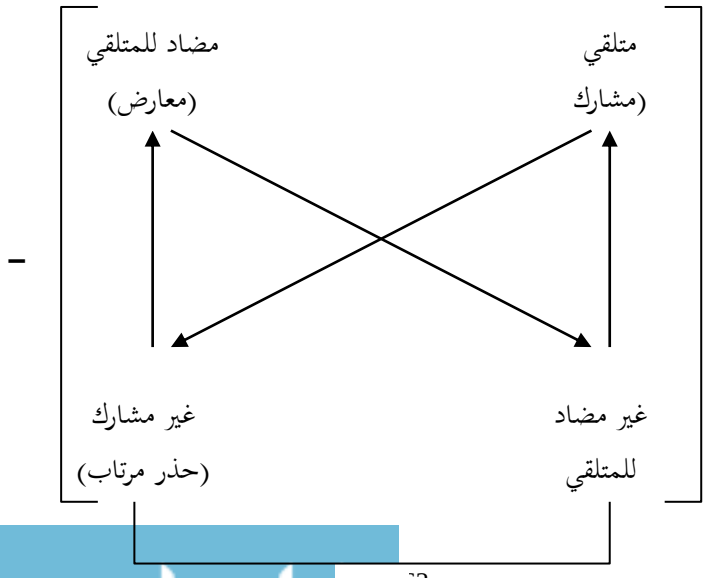

المنارة للاستشارات

وإن الشّكل أعلاه يبين ذلك وبالاعتماد على بحوث غريماس حول "العلم" و"الاعتقاد" (Greimas, 1983) ص120 وعلى بحوث كورتاس في أشكال "التّلفظ وأشكال الملفوظ" (Quémada, Rastier, & Courtés, 2014) ص 250 كما يبيّن إمكانيّة انتقال المتلقّي من قطب إلى آخر وفق تغير موقفه الاعتقادي.

ويتبيّن الأمر جيدا عند قراءة قصّة مثلا، فإنّ القارئ يتعاطف مع البطل، فهو يشـارك –ودون تحفظ– وجهة نظر المرسِل، فيتّخذ بذلك وضع "المشارك المؤيّد"، أو على العكس من ذلك يبتعد عن وجهة نظر المرسِل ، ويبدو حينئذ بهيئة "الحذر المرتاب" أو قد يفضي به الأمر إلى حدّ أن يرفض كليّة، وجهة نظر المرسِل المطروحة عليه وبذلك يكون له وضع "المعارض" مع توقّع المسار المعاكس، فالذي كان في البدء "معارضا" فإنّه يصير بالتّدريج متعاطفا (بالرّجوع مثلا إلى عناصر مؤيّدة) إلى أن يصير مشاركا الرّأي ومؤيّدا "معتقدا" فيما يعرض عليه، وبين هذين القطبين: قطب "المؤيّد" وقطب "المعارض" هناك مواقع بينهما متوقّعة للقارئ مع إمكانيّة حركة الذّهاب والإيّاب بينهما؛ بحسب عامل الزّمن، وبسبب ما يقتضيه حال المتواليات فيزيد موقف المتلقّي أو ينقص عن موقف "المؤيّد" أو "المعتقد" أو "المتعاطف" أو "الحذر"، "المرتاب" يضاف إليه موقف آخر، وهو موقف "المحايد" الذي يلغي ويبطل وظيفة التّقابل القائم بين القطبين: فـ"المحايد" ليس مؤيّدا ولا "معارضا."

وبالمقابل فإنّه إزاء هذه المواقف المتوقعة من المتلقّي، فإنّه يفترض كذلك أنّ المرسِل يمكن أن يؤدّي دورين مزدوجين "إذ يعود للمرسِل أمر "المتلقّي" المشارك المؤيّد" في أن يحمله على "الاعتقاد" أو "الإيمان" أي يوجّهه إيجابيا بأن يحول كفاءته الموجهة إلى الاتّجاه "المرغوب" (فيه) بحيث يمكنه أن يتبنى وجهات النّظر والاقتراحات المعروضة عليه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى

المنارة للاستشارات

فإنّه على المرسل أن يمنع بما أمكنه ذلك "المعارض" من أن يعتقد شيئا غير الذي يعرضه عليه، أي يمنعه من أن يؤيّد وجهة نظر (أخرى) معاكسة، إنّه يسعى هاهنا إلى حمل المتلقي على /عدم الاعتقاد/ أو /عدم الإيمان/ موجهه سلبا بكلّ ما لديه إذ يحول كفاءته الموجهة إلى أن تصير غير عاملة، بحيث يجعل المعارض عاملا مضمرا أي يحوله إلى عامل متعاطف وذلك على أقلّ تقدير. (وهذا مثلا حال المحاضر مع الجمهور الذي يخاطبه وكيف يتكيف معه بمختلف وسائل الإقناع بحسب حالات الجمهور، وسلوكاته أثناء المحاضرة.

4. خاتمة: بإمكان هذه العدّة الإجرائيّة في تحليل الخطاب التي تحتسب المرسل والمتلقّي والموضوع الدّائر بينهما أن تنتج منهجا لتحليل أصناف من النّصوص في: الحوار، الوصف، الخطاب السّياسي، الخطاب الصّحفي والخطاب الدّيني. تعطي أهمّيّة للكيفيّة التي يطرح بها النّص.

تبيّن الصّورة التي يكوّنها المرسل عن المتلقّي وكيف يوجه اليه الخطاب.

تبيّن كيف يستطيع المتلقّي أن يتنبّأ ضمنيا على الأقل وبواسطة النّص الموضوع تحت تصرّفه بالاستراتيجيات المتبنّاة ازاءه من لدن المرسِل. هذه الاستراتيجيات هي الأساسيّة وهي المتعلّقة بالإنتاج، القراءة والتّأويل.

وإنّ استراتيجيات انتاج النّص هي وظيفة المرسل، في حين أنّ:

- التّعرف على المعنى هو من انتاج المتلقّي (القارئ) وهو الامر غير المستقر (لتعدّد مشارب المتلقّي).
- للخطاب بعدان: بعد معرفي وهو الذي يضطلع به المرسل وبعد تأويلي يضطلع به المتلقي.

المنارة للاستشارات

5. قائمة المراجع:

باللغة العربيّة

زيوان ف. مصطلحا الخطاب والنّص، الدّلالة في الثّقافة العربيّة. مجلّة كتابات معاصرة. 2008;70(18):97.

يقطين س. تحليل الخطاب الرّوائي: المركز الثّقافي العربي; 1993، 17،18،98.

عطيّة ععا, الكبير شامبعاا. تفسير الألوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني) 1-11 مع الفهارس ج11: دار الكتب العلميّة; 2014.

باللغة الأجنبيّة

Austin JL, Urmson JO, Sbisà M. How to Do Things with Words: Harvard University Press; 1975,26.

Benveniste E. Problèmes de linguistique générale.[1](1966): Gallimard; 1966, 242.

Courtés J. Du lisible au visible: initiation à la sémiotique du texte et de l'image: De Boeck Supérieur; 1995, 125,150,250.

المنارة للاستشارات

Grange A. La dialectique récit/discours dans la stratégie de persuasion. Stratégies discursives. 1978:243-55.

Greimas AJ. Du sens. 1983.

Quémada B, Rastier F, Courtés J. Analyse sémiotique du discours: De l'énoncé à l'énonciation: Hachette Éducation; 2014,125,250.

Searle JR. Les actes de langage: essai de philosophie du langage: Hermann; 1972,13.

المنارة للاستشارات